

VOLUME 6, AUGUST, 2013

الإشراق

الإشراق

مجلة الدراسات العربية والإسلامية

AL-ISHRĀQ

JOURNAL OF ARABIC AND ISLAMIC STUDIES

Nasarawa State University, Keffi, Nigeria



A PUBLICATION OF THE ARABIC AND ISLAMIC STUDIES UNITS

Nasarawa State University, Keffi, Nigeria

ISSN: 2006-6554

١٠/٥/٢٠١٣
١٠/٥/٢٠١٣
١٠/٥/٢٠١٣

المجلد ٦، أغسطس ٢٠١٣م

الإشراق

مجلة الدراسات العربية والإسلامية



تصدر عن

شعبي العربية والإسلامية

كلية الآداب

جامعة ولاية نصراور، كيفي.

قصيدة الشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورزو الفلاني في مدح أمير الورن عبد القادر بن
الأمير شعيب باوا: عرض ودراسة.

إعداد/

الدكتور خليل الله محمد عثمان بودوفو

و

عبد الرشيد محمود مقدم

المدخل:

كانت مدينة الورن -منذ بزوغ فجرها على خريطة نيجيريا- توطدت فيها جذور اللغة العربية، وتعتبر لسان أهاليها الثاني قبل الاستعمار الانكليزي الذي شق عليها حربا نفسية شعواء، ولم يقاسمها حقوقا يتمتع بها أضرابها من الفنون العلمية التي أتت إلى الدنيا لإسعاد البشرية [أغاكا: ١٢]، ويذكر التاريخ أن هذه المدينة من المدن النيجيرية التي تعجز عنها أصابع الإحصاء عند تعداد علمائها من حيث الكثرة والإنتاجات العلمية الهائلة. ومن الصعب بمكان أن نحدد -بالتحديد- أول يوم تعرّفت هذه المدينة -إلورن- على تلك اللغة العريقة-العربية- إذ توجد لها أربابها قبل قدوم الشيخ عالم بن جنتا إليها، ومما يثبت هذه الحقيقة إطلاق ذلكم الأرباب على ضيفهم النازل عليهم لقب "عالم" الذي غلب على اسمه الحقيقي -صالح-، فلا يعتبر مقدم هذا الشيخ نقطة بدائية لتعرف هذه المدينة على الإسلام واللغة العربية، إلا أنه يؤرخ به إرساء القاعدة الإسلامية وتوسيع رقعتها إلى أنحاء القرى والمدن المجاورة لها.

وتعددت على سماء هذه الإمارة نجوم العربية وعمالقتها، الذين ملاؤا صفحات أدبية ذكرا ونتاجا، أمثال الشيخ أحمد بن محمود والشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورو - موطن دراسة هذا البحث- من القدامى، والشيخ محمد ميماسا، والشيخ آدم عبدالله الإلوري، والشيخ أبوبكر الصديق أبارغدوما من المؤخرين، وخلف من بعدهم أخلاف مهرة نجباء تخضع لهم أعناق الشعر العربي المجيد، في مقدمتهم الشاعر النيجيري العملاق الدكتور عيسى ألبي أبوبكر وأمثاله من المعاصرين.

وكان شعر المدائح في مدينة إلورن متنوع الألوان، متباين الاتجاهات، فتوجد بها مدائح رسول الله ومدائح العلماء وذكر مناقبهم ثم مدائح الأمراء، وتعتبر من جياذ هذا القسم الأخير قصيدة الشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورو التي مدح بها الأمير عبدالقادر بن شعيب باوا (رحمهم الله جميعا) التي سيرعنها هذا البحث في موطنها -إن شاء الله- ويتناولها بالدراسة على حسب التالى أدناه :

- التعريف بالشاعر.
- عرض القصيدة.
- جو القصيدة ومناسبتها.
- أفكار القصيدة الرئيسة.
- الأساليب الفنية:
- ا- بناء القصيدة
- ب- الألفاظ والمعاني
- ج- التجربة الشخصية
- د- تعليقات نقدية على القصيدة.
- الخاتمة.

التعريف بالشاعر.

ولد الأديب الشيخ العلامة أحمد بن أبي بكر في بيت إكوكورو بحى أوكو في الجهة الجنوبية في مدينة إلورن عام ١٨٧٠م، وأمه من بيت داؤد مائلي في الجهة الغربية في المدينة. وتلقى العلم عن كثير من أكابر علماء زمانه إلى أن استقر أخيرا عند بيفوري {الألوري: ٤٨}. واعتبر أول من غير كتابة كلمة إلورن إلى الصورة المتعارف عليها اليوم-إلورن-، بدلا مما كانت عليه كتابتها من قبل حيث كانت تكتب-جصوؤرى- {بودوفو: رواية شفوية}. وكان أول من دق الباب على تعلم الانكليزية من كثرة ترحاله إلى بعض المدن النيجيرية كلوكوجا ولاغوس {الألوري: ٤٨} وتمتّع بوفرة نصيب بين علماء إلورن في الثقافة الغربية، وتبوأ فيها مكانة عالية مرموقة جعلته أهلا أن عين وكيلًا للوزارة المالية في مدينة إلورن ثم استقال منها مشغلا بنشر العلم ومهمة التدريس {يعقوب: ٨٥}.

ونحِب عليه عديد من علماء إلورن وغيرها وإليه انتهت الرئاسة العلمية بعد وفاة شيخه بيجورى والشيخ عبد الله بدندى {الإلورى: ٥٤}.

• إنجازاته العلمية

يعدّ ابن إكوكورو-بحق- أتونًا أضاء للجميع فتيل الممارسة بعملية الكتابة والتأليف في إمارة إلورن، وله إنجازات هائلة تعجز عند التعداد طاقة الإحصاء والإحاطة، تعكس معظمها- بأصدق الصورة- في بروز بصماته الثابتة في مختلف المجالات العلمية والثقافية. ومما يمثّل هذه الإنتاجات تلك المؤلفات القيمة، التي تغطّي عدّة فنون متنوّعة من فقه وأدب وتاريخ وعلوم لغوية، نذكر منها دون الحصر " أخبار القرون في تاريخ أمراء بلاد إلورن" الذى يعدّ أول كتاب تاريخي، ألّف في تاريخ مدينة إلورن، و"التقاط المتون في خمسة فنون: النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع" وهو عبارة عن مذكرة كتبها لأهل لاغوس استجابة لطلب الشيخ أبى بكر ساحة أكتنى، وهى في منتهى الفائدة لطلاب العلم وغيرهما. {الإلورى: ٤٩} كما كشف عن ساعد الجدّد، وطرق على بعض الأغراض الشعرية كالممدح والثناء وأتى منه بقصائد جياّد تصدّق هذه الدعوى وتبشّش القناع عن شاعريته الشاعرة، منها: قصيدته التى مدح بها امير بدّا سعيد قال فيها:

الا من مبلغ عني مرادى ** إلى راعى الرعية ذى الودادى

خليفة ربه في أرض بدّا ** تبوى بجمع أخلاق السداد

أمير بن الأمير بن الأمير ** سعيد ذى الشراقة والرشاد

ومنها المقصورة التى مدح بها صديقه وأستاذه الحاج محمد البرناوي عند توليته للوزارة في مدينة بدّا عام ١٩٢٢م والتي يقول في مطلعها:

حمدت إله العرش ربى ذا العلا ** ورافع بعض فوق بعض له القضا

ومنها مرثيته للإمام هارون الإبداني الذى توفى عام ١٩٣٥م والتي يقول في المطلع:

ألهمنى على ما القلب منه تفجعا ** وما عارض الأكباد حتى تصدعا

وهى تلك القصيدة التى علّق عليها الإلورى قائلا:

إنها ذات مستوى رفيع في البلاغة والفصاحة لمن تعلّم في هذه المدينة

على أيدي علماءها لم يخرج منها إلى بلاد العرب، ولم يلق عربيا ولم

يكتب له الحج إطلاقاً، ولم يزر معهداً عالياً ولا جامعة بل كان تعلمه
كله مقصوراً على الأسلوب التقليدي القديم وعلى علماء كلهم أعاجم
من أهل هذا البلد. [الإلوري: ٥٣]

وقصيدته في مدح الأمير عبدالقادر بن شعيب باوا موطن دراسة هذه الورقة —إن شاء الله—
ونكتفى بهذا القدر اليسير مما يثبت رسوخ قدم ابن إكوكورو في ميدان العلم والثقافة الذي لا يقطع
له الغبار ولا يتجاذب فيه معه الإناء. ومن أصدق المظاهر لإثبات علو مكانته وشموخ منصبه،
تكوينه بعض حملة علمية خالدة، تشهد بنجابتهم الفائقة صفحات العلم والأدب والتاريخ، أمثال
الشيخ الواعظ الكبير محمد بلّو جنغولو، والشيخ صلاح الدين بريوة إكوي، والشيخ جيوا، والشيخ
نال أولوسن، والشيخ أبوبكر سكاما، والشيخ إبراهيم خليل الله صاحب الصدار (ألايا)، وغيرهم
ممن تشهد لهم دنيا العلم بالغزارة، وأهلتهم الانضمام في المصاف الأول بين العباقرة العناء
الأجلاء. {الإلوري: ٥٤}

● عرض القصيدة :

مَنّى إليك تحيات أمير لنا	مع سلام وإكرام كما زانا
وبعد فالمرء مأمور لمنعمه	بشكره ثم ينهى عنه كفرانا
لذا شكرت أمير المؤمنين بما	أهدى إلى قميصا نسج سودانا
جاء إلى به إدريس مرسله	صبيحة قبل يوم العيد مضحانا
يا أيها ذا الأمير ابن الأمير لنا	ابن شعيب أمير ذو مزاينا
عبد القدير وهذا الاسم من فطنا	يعلم بأن اسمه قد طابق الشانا
أنت الذي فقت أقرانا مبارزة	بالعقل والحلم والأحوال رضوانا
كل الملوك نجوم كنت بينهم	كالشمس بين نجوم الليل لمعانا
وكل من يتمنى مثل خيرك ما	أعطيت قد ذاق غما ثم نحسرانا
إن اشربوا إلى ما قد أتيت به	من الفطانة في الأخلاق مالانا
فالطيب قد طاب ريحا عند ناشقه	فالمسك أفوح طيبا منه ريحانا
فالعذب تغزر عند الحوض صافية	لكن وليس كصدا عند ظمأنا
وكل نبت بعيني رائد حسن	من الرعاة ولكن دون سعدانا

لم لا يكون فأصل المرء يظهره
 ١٥ ورثت مجدا وعزّا ثم حلمك من
 أنه أهل مدح ليس فتانا؟
 أجدادك الصالحين حذه تبياناً
 أعنى زهير بن عبد السلام أبوه
 عالم ابن جنتا ذاك بشرانا
 والفقر يحدث بين الناس شنانا
 يارب أهل الورن سد فقرهم
 بأحمد ابن أبي بكر كما بانا
 بخط ناظم درالمدح وهو دعوى

جو القصيدة ومناسبتها

إن الانفعالات النفسية كانت تجاوب دوافعها فتحدو الشاعر إلى حياكة الشعر، وتفعم آفاق خلجاته بصدق العاطفة، فتنتطق من عنان قلمه لعباب الشعر الجيد. فهذه القصيدة نجحت إثر ذلك التبادل الودي الذي ترسّخت قوائمه بين الشاعر والمدح - الأمير عبدالقادر بن شعيب باوا الثامن في إمارة إلورن - الذي أرسل أحد أمناءه يدعى إدريس، في صبيحة يوم قبل العيد بمهدية فاخرة، تتمثل في قميص نسيج سوداني أعطاه إياه، [الإلوري: أ] فأيقظ جياش انفعال الشاعر من رقدته، وخلق في نفسه صدق العاطفة، وتنتطق منها بواعث هذه القصيدة رمزا لوفاء الشكر الواجب على المسدّى إليه معروفًا.

الأفكار الرئيسة

تطغى القصيدة - في أبياتها - أربع الأفكار، وهي تعدّ عناصر تخضع في كيانها لموضوع واحد لم تخرج عن نطاقه، والأفكار كما تأتي:

أولاً: إلقاء تحية حارة إلى الأمير المدح، التي ينكشف من خلالها عن المتلقى تلك العلة الأساسية أو الدافع الحقيقي الذي يملئ على الشاعر حياكة هذه القصيدة.

ثانياً: بيان مكانة المدح العالية وما كان يتمتع به من رحابة الصدر وطيب العنصر وجمال الخلق، وهي - مجموعها - لم تكن في حدّ ذاته العهد، بل تعتبر تركة أسرية تتوارث كابرا عن كابرا.

ثالثاً: الابتهاال والتضرع إلى الله بإسباغ النعم الوافرة، والمدد الهائل لأهل إلورن لتنتشع عنهم سحائب الفقر والفاقة.

رابعاً: انطواء راية القصيدة بالميل إلى النهاية وخاتمة المطاف منها، بالكشف عن اسم الشاعر، وناظم درها، ويعتبر طابعاً خاصاً يعرف به الشعر العربي النيجيري القديم، أو يعدّ بصمة توضع في نهاية القصيدة.

الأساليب الفنية

أ- بناء القصيدة

إن الدراسة عن بناء القصيدة تعنى هذه الخيئات الأربع المطلع والمخرج والشكل والمضمون، وهذه العناصر الأربعة اكتسبت نصيب الأسد من عناية النقاد -قديماً وحديثاً- ووضعوا لها قوانين ومقاييس تقاس بها جودة الأشعار.

ومن هنا كان لمطلع القصيدة اهتمام بالغ وانتباه زائد في نفس الشاعر والمتلقى، بأن يكون جذاباً مفرغاً في قالب الحسن والجمال من حيث الصياغة واللفظ والمعنى، لأنه أول ما يتراءى عين القارئ من القصيدة، فإذا كان حسناً جيد الصياغة تشرب إليه النفس ويملاها الاشتياق وتخرج إلى قراءتها، وإذا كان قبيحاً تكرهه أذن السامع وتجعله في سلة الإهمال. [مقدم: ٨٨]

والقصيدة التي نحن بصدد دراستها كان مطلعها واضحاً بيتاً لاغموض فيه ولاصعوبة في فهم وإدراك مغزاه.

منى إليك تحيات أمير لنا مع سلام وإكرام كما زانا

وبعد فالمرء مأمور لمنعمه بشكره ثم ينهى عنه كفرانا

فهو على وزن مستقيم من حيث المبنى والمعنى، استهلال بارع جيد لعل ماهدى إليه الشاعر كثرة تلازمه بالآداب الإسلامية الغراء، ألقى تحية حارة يحمل طابعها شعار الأمن والسلام، فهو استهلال يعبر عن مضمون القصيدة وشفافية الشكل مما يبرهن عن موهوبة الشاعر حسب قول ابن عتيق:

إن من صفات الشاعر الموهوب أن يكون ذا ملكة صادقة تعينه على براعة

الاستهلال ولطف المدخل وعلى حسن التخلص وسهولة المخرج من

غرض إلى آخر ومن معنى إلى معنى، وأن يكون مع هذا وذاك متين الربط

بين أجزاء الكلام قوى الأسر متماسك الأسلوب في لين وسهولة وعذوبة.

ومما يثير انتباه القارئ أن المطلع لم يكن واقفا على الأطلال، ولا متقادا لحادٍ غزلي خيالي تعارف عليه الشعر العربي القديم، بل كان على شيء من الأمزجة النفسية الفردية الذي يملأ على نفس الشاعر ولم يكد أن يمتلك نفسه أمام انفعال ثائر يفرض عليه الاستهلال بإلقاء التحية الإسلامية إلى الأمير الممدوح لإظهار عظمة قدر صنيعة، فهو استهلال جيد انتهى إليه الشاعر لارتساق الروح الإسلامي الخالص في أعماق الصدر، وأصبح هذا اللون طابعا خاصا اشتهر به الشعراء النيجيريون في إثبات شخصيتهم الشعرية كما أشار إليه أحد الباحثين:

إنه سار بعض علماء هذه البلاد على منوال الجاهليين في بدء أشعارهم بالوقوف على الأطلال وبكاءها أو الغزل سوى أن ذلك لم يمنع قريحتهم الشعرية من الإيقاظ والنهوض بل استجابوا لبيتهم المحلية، ولذلك نجدهم في الغالب يبدؤون قصائدهم بالتسبيح لله والثناء عليه والصلاة على رسوله الكريم. [بودوفو: ١٢٥]

ولم يكن تقدير النقاد بمجودة حسن التخلص من المطلع إلى المضمون أقل شأنا عن غيره، إذ كان المتأخرون منهم قيدوا اهتمامهم البالغ عليه وعدّوا من الألفاظ المستعملة لتحقيق هذه الغاية "دع ذا" و"عدعن ذا" وما ضاهى ذلك. [بدوي: ٣٨٣]

ولذلك نجد هذا الشاعر تخلص أحسن التخلص بالانتقال من مطلع القصيدة إلى المضمون باستعماله "بعد" الذي يبدى به تلك العلة الأساسية من القصيدة التي هي أداء الشكر :

وبعد فالمرء مأمور لمنعمه ** بشكره ثم ينهي عنه كفرانا

كما بلغ اهتمامهم في حسن الختام أو الخاتمة إذ هو آخر ما يبقى في الأسماع ولأنه يشير إلى بلوغ الغرض، والوصول إلى ساحله الأمين من البيان الشافي [أغاكا: ٢٤٧] ولقد أجاد الشاعر بمسكية ختام القصيدة حيث بالدعاء والتضرع إلى الله العلي القدير لأهل الورن بالرزق والعفاف والغنى معصومين عن الفاقة والفقر الذي يحدث بين الناس التباغض والحقد الضغين.

الألفاظ والمعاني

كانت قضية الألفاظ والمعاني من القضايا الهامة التي أثارت خلافا كبيرا بين النقاد العرب وغيرهم - قديما وحديثا - على ساحة النقد الأدبي، وهي من المقاييس التي وضعت في تقييم العمل

الأدبي-شعرا كان أو نثرا- حتى عدّها أحد الباحثين سببا رئيسا أذى إلى نشأة بقية المقاييس النقدية، [خليل: ٢٠٩]

وذهب كل من النقاد مذهباً بعيداً في التفاضل بين اللفظ والمعنى، فنرى أنصار اللفظ في مقدّماتهم الجاحظ يجعلون اللفظ وحده الهدف البليغ ويدعون الدارسين إلى العناية به وحده، في حين نرى أنصار المعنى برئاسة الإمام عبد القاهر الجرجاني يوّءون المعنى المكانة العالية، ويولون له بالغية الاهتمام في العمل الأدبي، إلا أن كلا المذهبين في اتجاههما لم يتوخّيا روح الإنصاف في الحكم، لكون كل منهما-اللفظ والمعنى- ذا هوية معترفة في العمل الأدبي، لأنه إذا مثل المعنى بالروح واللفظ بالجسم أو بالعكس نؤمن كل الإيمان أن الروح ليس له وجود إذا فقد له الجسم، والجسم لا يعرف حياة ونماء إذا انتزع منه الروح، فلذلك يثبت الحكم ألا تفاضل بين اللفظ والمعنى لكونهما ركنا هاما في الأدب، وإلى هذا الموقف يشير ابن رشيق في إسهاب غير مملّ مانصه:

اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا اسلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور، وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح وكذلك إن ضعف المعنى واختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، فإن اختلّ المعنى كله وفسد، بقي اللفظ مواتا لا فائدة منه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما ان الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة. وكذلك إن اختلّ اللفظ جملة وتلاشى لم يصحّ له معنى، لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة. [ابن رشيق: ١٠٦]

ومن يتبين لنا أن اللفظ والمعنى بينهما قرابة قوية ورباط متين، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، كما يجد القارئ براعة الشاعر في اختياره الألفاظ المتلائمة التي صاغ بها تلك المعاني الجياشة في أحسن القوالب، كما توتّحى فيها سهلة الألفاظ الوحشية الغريبة التي تفرض على القارئ الرجوع إلى المعاجم والقواميس اللغوية، فكانت الألفاظ في أنسب التلاؤم لمعانيها، انظر إلى مثل هذه الألفاظ: طابق- فقت- أقرانا- الشمس- النجوم- الطيب- ناشقة- اشراًؤا- العقل- الحلم- تغزر- الفقر- شتآن- المسك- ريحانا- نبت- رائد- الرعاة- المجد- أجدادك، وما إلى ذلك مما

تشحن بما القصيدة من الألفاظ العذبة التي تبرهن بتوفيق الشاعر في اختيار الالفاظ المناسبة للمعانى في القوة والخفة والرصانة.

التجربة الشعرية

إن أعظم الشعر وأجلده ما صدر عن تجربة صادقة، وتناول قضية حية، كما تعبر عن ذلك كله شاعرية ابن إكوكورو، إذ جاءت أبيات القصيدة استجابة لعاطفة قوية ملحة، ناتجة عن تجربة حقيقية وانفعال أكيد جاشت به نفسه وانطلق لسانه، ومن ثم نحس فيها صدق الإحساس وعمق العاطفة، وترتب على ذلك وضوح الصورة الشعرية وضوحاً تبدو من خلاله نفسية الشاعر وما تجيش فيه من مشاعر وأحاسيس، وهي تجربة ذاتية ناشئة عن موضوع فردى اجتماعي أخلاقي.

تعليقات نقدية على القصيدة

يرى القارئ بينت العين أن القصيدة حيكّت على وزن بحر البسيط، وتفعيلاته: مستفعِلن فاعِلن مستفعِلن فعلن، مرتين. وفق الشاعر في اختيار البحر وموسيقاه لكونها ذات جرس رنان، يتسم بالضخامة والفخامة التي تلائم نفسية الشاعر ومكانة الأمير الممدوح، كما استطاع لطول نفس البحر البسيط في سرد الأفكار.

وهذا البحر البسيط عروضها مخبونة وضربها مقطوع، كما يترأى في هذا التقطيع التالي:

مِنْئِي إِلَى كَنْجِي يَأْتِي أَمِي رُلْنَا
مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ
مَعْسَلَا مِنْوَاكْ رَامِنْكَمَا رَانَا
مَتَعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

في حشو أبيات القصيدة "الخين" وهو حذف الثاني الساكن في سبب خفيف كحذف الألف من "فاعِلُنْ" فيصير "فَعِلُنْ"، وحذف السين في "مُسْتَفْعِلُنْ" فيصير "مُسْتَفْعِلُنْ" وتحول إلى "فَعِلُنْ" فبهذا كانت القصيدة في بناءها وهيكلها على وحدة الوزن والقافية. [مقدم: ١٠٣]

كما كان الشاعر موقفاً في اختيار حرف الروي الذي يتمثل في حرف النون المفتوحة التي يليها الوصل -ألف الإشباع الذي نشأ عن مدّ حرف النون المفتوحة- والنون من صفاتها الغنة، وهي تنبعث عن المسرة الفاعمة بأفق نفس الشاعر تنشط لسماعها الأذان.

إلا أن الشاعر أخفق في بعض الضوابط العروضية التي عدّها أحد الباحثين في الضرورات الشعرية، في مثل كلمة "عبد القدير" الذي عدل بها الشاعر عن "عبد القادر" اسم الأمير الممدوح، والقادر من أسماء الله الحسنى، أضيفت إليه العبدية، بغضّ النظر عن أبلغية القدير من القادر في الموازن الصرفية. كما أشار الباحث إلى كلمة "فَطِنًا" أنها نؤت استجابة للضرورات الشعرية. [الثقافي: ٢١٤] إلا أننا لانوافقه في هذا الاتجاه لكون الألف في "فَطِنًا" حرفاً وصلباً نشأ عن إشباع النون المفتوحة في آخر الفعل وهي غير منوّنة. كما نرفع عليه يد الاعتراض في قوله بإعلاء الهمزة في "الشانا" [الثقافي: ٢١٤] والحاصل فيه تسهيل الهمزة ليتلاءم الردف الذي يعنى الألف الساكن قبل الروي في الأبيات السابقة.

ومما أؤخذ عليه الشاعر في القصيدة السرقة الأدبية في البيت السادس:

كل الملوك تكون أنت بينهم ** كالشمس بين نجوم الليل لمعانا

أشار أحد النقاد إلى هذا البيت واتهم به الشاعر بالسرقة الأدبية مانصه: "يلاحظ أن بعضهم قد أخذوا من العرب من العرب بعض معانيهم وصاغها في أبياتهم فمثلاً ذكر الشيخ إكوكورو وهو يمدح أمير بدا سعيد بن محمود قائلاً:

كل الملوك تكون أنت بينهم

وهذا البيت يضاهي في المعنى وفي الفاظه قول النلبغة الذبياني الشاعر العربي القائل:

كأنك شمس والملوك كواكب ** إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

[بخاري: ٢٣٧]

وهذا النقد يجابه بهذا التوجيه أن مصطلح السرقة الأدبية كانت من القضايا الحساسة التي أثارت الضجة على ساحة النقد الأدبي لما فيه من الهجنة والقباحة، فعدلوا عنه بمصطلحات أخرى من بينها التناص الذي يعنى تعاطى الشاعر في شعره معنى أو لفظاً تناوله شاعر قبله، إلا أنه غير معيب إذا لم يكن منسوخاً معنوياً ولفظياً بحيث أضاف إليه الشاعر الثاني بعض مزيادات معنوية

أولفظية، أوتناول بعضها تناولا جديدا لإن كان لمن سبقه إليها فضل السبق لسبقه، فله هو الآخر فضل الإجادة والتحسين، لما أدخله من إضافات عليها. [حسن ذكرى: ١٢٧]

فالتقارب المعنوي بين القصيدتين لا نقول بملاء الفهم أن الشاعر الثاني سرق من الأول لفكرة أوردها الثاني ابن إكوكورو في زيادة المعنى التي هي تقييد ظرفي للموع الشمس والنجوم ولو جانب الصواب بتقصير معنوي الذي أشار إليه الناقد:

"ولكن الشيخ أحمد إكوكورو في البيت الأول قد ترك الغضاضة في معنى الشطر الثاني من البيت وذلك حيث جعل الشمس تلمع بين نجوم الليل ، الأمر الذي لا يحدث بالطبع أبدا فلا تكون الشمس مرئية مع النجوم لافي الليل ولا في النهار، فالواقع أن النجوم تختفي عند طلوع الشمس غايها، ولذا فيلاحظ أن المعنى عند النابغة أقوى وأجمل. [٢٣٧] صدق الناقد في هذا الاتجاه، غير أن الشاعر قد يعذر في هذا الافتراض الخيالي الكاذب الذي حملة عليه صنيع الأمير الممدوح فصوّره تصويرا خياليا خاطفا. وقد يلاحظ أن الشاعر استطاع أن يمتلك المستمع والقارئ منذ أول لحظة من حيث يربط صور هذه القصيدة بالموضوع بغية تحقيق الوحدة العامة للقصيدة فليست الصورة منفصلة من الموضوع وإنما غدت جزءاً منها وفرداً من اسرتها فلنصغ إلى عباس عمود العقاد عندما يشير إلى أمثال هذه القصيدة ويجعلها كالإنسان المتناسق الأعضاء قائلا: "القصيدة الشعرية كالجسم الحيّ يقوم كل قسمة منها مقام جهاز من أجزته ، ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف" (أبوكرشة 442) فالشاعر المفلق هو الذي يحسن قصيدته بجهد نفسه في بدء ووسط ونهاية حتى تتسم القصيدة بسمات الوحدة العضوية.

الخاتمة

وبهذه الجولة الخفيفة مع هذه الورقة نرى أن القصيدة تغطّي بعض أبعاد فنية بالجودة والرصانة، وهي ذات موضوع واحد، تحتوي على فكرة متكاملة. فالوحدة الموضوعية واضحة بشكل جليّ، مع الاحتفاظ بقوة الأساليب وجزالة الألفاظ ورقة الصور، كما هي تعبر في صدق عن فكر الشاعر، وتصور ما يعتمل في حنايا نفسه تجاه الأمير الممدوح.

فارتفعت بذلك كله مكانتها الفنية مع أنها حيكت في مرحلة التكوين الأدبي أو في ريعان شباب عمر الأدب العربي في إمارة الورد، وتشير بأصدق البنان إلى تلك الأصالة الأدبية العربية المتانة التي تتمتع بها الإمارة في أول يومها وتمتد جذورها إلى هذه الأيام الراهنة الحالية.

المصادر والمراجع

- ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج-١، تحقيق الأستاذ محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، عام ٢٠٠٦م.
- أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي، ط٢، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، عام ٢٠٠٣م.
- آدم عبد الله الإلوري: لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن من ١٨٠٠م-١٩٨٠م، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- خليل محمد عثمان: أساليب نقد الأدب العربي في نيجيريا من عام ١٩٦٣م-٢٠٠٣م رسالة مقدمة إلى قسم العربية لنيل الدرجة العالمية الدكتوراة، بجامعة إلورن، ٢٠١٠م.
- شعيب بخاري: الأدب العربي في بلاد يوربا، بحث مقدم إلى قسم العربية للحصول على درجة الماجستير بجامعة بايرو ١٩٨٣م.
- عبد الباقي شعيب أغاكا (أ.د): أساليب بلاغية لدى الشيخ عبدالله بن فودي، مكتبة دار الأمة لوكالة المطبوعات، ط١، ٢٠٠٨م ١٤٢٩هـ.
- _____: من تحديات الانكليزية لمكافحة العربية في نيجيريا: عوامل ومواقف، مقالة قدمها في المؤتمر السنوي بالمركز الإسلامي أغنيغي لمرور العام الخامس عشر من وفاة الإلوري، وذلك ما بين ٢-٥ إبريل ٢٠٠٧م.
- عبدالرشيد محمود مقدم: اتجاه مذائح الأمراء لدى ستة من علماء مدينة إلورن: دراسة نقدية، بحث مقدم إلى قسم العربية لنيل درجة الماجستير بجامعة إلورن، ٢٠٠٨م.
- عثمان عبدالسلام الثقافي: الشيخ أحمد إكوكورو ودراسة طائفة من شعره، مجلة مالم للدراسات اللغوية، العدد الخامس، ربيع الأول ١٤٢٤هـ، مايو ٢٠٠٣م، قسم العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو.
- على علي صبح وحسن محمد عازل: من النصوص الأدبية في العصر الحديث، القاهرة، بدون.
- يعقوب يوسف: دراسة تحليلية لحركات المديح وتطوره في مدينة إلورن من ١٩٦٠م-١٩٨٩م، رسالة الماجستير في قسم العربية جامعة إلورن، ١٩٩٠م.
- الدكتور طه مصطفى أبو كريشة: أصول النقد الأدبي، طبع بمكتبة لبنان ناشرون 1966م.